بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 21 ديسمبر 2020

الجماعة ومنبوذوها:

دراسة في التشكل الثقافي للاتسامح عند الإسلاميين المغاربة

حوكا بن أحمد
محمد النضر

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2020
All rights reserved © 2020

الجماعة ومنبوذوها:
دراسة في التشكل الثقافي للاتسامح عند الإسلاميين المغاربة

حوكا بن أحمد، باحث في علم الاجتماع السياسي، جامعة محمد الخامس، الرباط
محمد النضر، باحث في العلوم السياسية، جامعة القاضي عياض، مراكش

الملخّص:

يشكل التسامح السّياسي، منظوراً إليه من زاوية علم النفس، أحد الأعمدة الرئيسة للديمقراطية، لكنّه يتميز عنها، في الوقت نفسه، من حيث امتداده إلى حقول أخرى؛ فهو يرتبط بخصائص المنظومة القيمية للفرد، ويعكس قواه العاطفية والوجدانية، ويتصل بشكل وثيق بالاتجاهات الدينية والمذهبية. ويعود التسامح، في الواقع، إلى نمط التنشئة الاجتماعية التي يخضع لها الفرد، والشروط الاقتصادية والفكرية التي تتشكل فيها البنية النفسية للأفراد والجماعات. وتساهم هذه العوامل في تحديد مدى استعداد الفرد من الناحية السياسية للسماح للآخرين بالتعبير عن الأفكار والمصالح التي يعارضها. وهذا هو المعنى الذي يعطيه لورانس سوليفان للتسامح السياسي.

الانطباع الأوّلي الذي يتركه فحص هذا المفهوم في ضوء الأوضاع السياسية الراهنة في المجتمعات العربية على العموم، والمجتمع المغربي على الخصوص، قمين بإقناع الملاحظين بوجود أزمة في التسامح السياسي بوصفه منظومة أخلاقية وثقافية؛ وهو ما يعني أن المسألة تتعلق بمتلازمة ثقافية لم تستطع هذه المجتمعات التخلّص منها، على الرغم من أهمية موجات الحداثة السياسية التي هبّت، ولا تزال، على الجغرافيات الثقافية العربية.

تهدف هذه الورقة إلى فحص اتجاهات اللاتسامح عند (180) إسلامياً مغربياً يتوزّعون بين الجماعة السلفية، وجماعة العدل والإحسان، وجماعة الإصلاح والتوحيد. وتنطلق من فرضية مفادها أن اللاتسامح السياسي يتغذى من عاملين رئيسين، هما: التغريب والانزياح عن المألوف؛ أي عن المعايير التي تُجمع عليها الأمة.

ونربط دراستنا اللاتسامح عند الإسلاميين المغاربة بالتوجهات الثقافية الفردية، التي تتجسّد في أربعة ملامح تمّ بناؤها من لائحة ميلتون روكيتش للقيم الغائية والأداتية. ويتعلق الأمر بالملمح الجماعاتي الأخلاقي، والجماعاتي الأداتي، والفرداني الأخلاقي، والفرداني الأداتي.

مقدّمة:

يواجه الاجتماع السياسي في المجتمعات العربية تحدّيات كبيرة. ومن المهم، في سياق العمل على تحديد تلك العقبات وفهمها وتحليلها، ألا يتمّ النظر إليها على أنّها ترتبط فحسب بتقاعس الطبقة السياسية عن وضع القوانين، والمؤسسات السياسية الكفيلة بإرساء المبادئ الديمقراطية؛ بل بافتراض أنها تمتدّ أيضاً إلى معضلات قد تهدّد بِعَقبَاتٍ، كَأَدَاءٍ أمام الحوار والتفاهمات العقلانية والمعقولة المرجوّة. ومن المهم أن يتمّ التوجّه، في توسيع النظر إلى التحديات القائمة، إلى البحث في إمكانية وجود نكوص نحو المشاعر الفطرية، وانبعاث للنوازع الأولية في الأنسجة الاجتماعية، التي تفتقد إلى تقليد راسخ من المشاعر المدنية قد يزداد تكراره، كلّما أبانت التحولات عن تهديد حقيقي للثوابت الدينية والثقافية والسياسية. وبالفعل، اعتيد النظر إلى هذه النوازع بوصفها الخزان الأساسي الذي يزوّد النزاعات الاجتماعية بنصيب وافر من غرائز الموت القابلة للتجدد الفوري كلّما «فرضت» شروط الاحتقان الاجتماعي والسياسي ذلك. ويُضاف إلى ذلك اعتبار الدين، في بعده الهوياتي، مثله مثل اللغة والعرق، منتمياً إلى سجل المشاعر الفطرية، وعلى ذلك هو يشتغل عادةً على شاكلة استعدادات كامنة سرعان ما تنفلت من عقالها، حينما يضعف منسوب رأس المال الاجتماعي الأفقي، وتنحلّ أواصر المناعة المدنية في الثقافة السياسية الوطنية. تزداد المعضلة حدةً كلّما نحا الدين نحو التوظيف السياسي في الصراع من أجل السلطة؛ حيث يغذي في هذه الحالة مشاعر الإقصاء واللاتسامح ضد المجموعات السياسية الأخرى.

وجهة التحليل، التي نتخذها، تنطلق من معاينة تزامن بروز الإسلام السياسي مع الانفصال التدريجي للدين الإسلامي عن جذوره الثقافية المحلية؛ حيث انزوى همّ الخلاص في الآخرة إلى أدنى المراتب، واكتست إرادة الله وظيفة سياسية معلنة. ويبدو أن الدين، الذي تصوره إرنست غيلنر على أنه مسودة للتلاحم الاجتماعي تصهر الأضداد وتجمع المتناقضات الاجتماعية، قد تغيّرت وظائفه التنفيسية؛ حيث تحوّل جزء كبير منه من تلبية الحاجيات الإثنو-سيكولوجية[1] إلى إسلام حركي، مختلف المرجعيات وعابر للأوطان، يهدف إلى إرضاء التطلّعات السياسية لمجموعات وزعماء باسم إرادة الله. وفي ذلك يحتلّ اللاتسامح موقعاً مركزيّاً.

1 Capranzano, V., *The Hamadsha. A study in Moroccan* ETHNOPSYCHIATRY, Berkeley, Los Angeles, Unive - sity of California Press, 1973, p. 283

أوّلاً: في الإشكالية وأطر معالجتها

1. الأسئلة الرئيسة:

تهدف هذه الدراسة إلى بحث منسوب اللاتسامح السياسي عند أعضاء ثلاث جماعات إسلامية في المغرب، ويتعلق الأمر بالسلفية المغربية، وجماعة العدل والإحسان، وجماعة التوحيد والإصلاح. ويتم ذلك من خلال السعي إلى تقديم إجابات دقيقة عن الأسئلة المركزية الآتية:

- ما المخزون الذي يستمدّ منه الإسلاميون المغاربة مكونات مواقفهم من «منبوذيهم»؟
- إلى أيّ مدى تحتمل مواقف الإسلاميين تلك منسوباً من التّسامح؟
- ما المتغيّرات الثقافية (سياسية، دينية، سوسيو-ديمغرافية) التي يتغيّر بفعلها ذلك المنسوب؟

وعلى ذلك يروم البحث، أيضاً، وضع اليد على الفروقات المسجلة في هذا الشأن بين الجماعات قيد الدراسة.

2. الإطار النظري للدراسة:

مع صعود الإسلام السياسي، تحوّلت علاقة الإسلام بالعنف إلى موضوع ذي شرعية أكاديمية فائقة. ويكفي المرء أن ينظر إلى حجم المؤلفات الإلكترونية عبر (*Google Books*)، لكي يدرك الذروة التي وصلتها الأبحاث في هذا الشأن. وفي المنحنى أسفله، يتضح تصاعد الإنتاجات الفكرية حول علاقة الإسلام بالعنف خلال سبعينيات القرن العشرين، كما يتضح تصاعد ثانٍ في اهتمام الأوساط الأكاديمية بالمسألة منذ بداية الثمانينيات ذات القرن وصولاً إلى مستهلّ القرن الواحد والعشرين:

رسم 1. موضوعة الإسلام والعنف حسب موقع Google Books Ngram Viewer[2]

2 راجع الموقع الإلكتروني الآتي:

https//:books.google.com/ngrams/graph?content=Islam+and+violence&year_start&1800=year_end&2000=corpus&15=smoothing&3=share&=direct_url=t1%3B2%CIslam20%and20%violence3%B2%Cc0#t1%3B2%CIslam20%and20%violence3%B2%Cc0-0

ومن الواضح أن هذه المعاينة الإحصائية تفتح الباب أمام نظر في المسألة من منظور التسامح/اللاتسامح على اعتبار العنف مظهراً من مظاهرها. ومن المفضّل في هذا الخصوص أن يتوجّه المرء إلى الدراسات التي لامست، بشكل مباشر، مواقف اللاتسامح، حيث يحصل على خلفية نظرية مناسبة للبحث.

بالعودة إلى خمسينيّات القرن الماضي، التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، نلاحظ أنها مرحلة تاريخية عرفت نشر أعمال مرموقة حول الشخصية الديمقراطية والسلطوية[3]، بدءاً ممّا كان على أيدي عالم السياسة الأمريكي ويليام ستوفر من دراسة لمشاعر التسامح. وقد درس الباحث في متن هذا العمل درجة تسامح المواطنين الأمريكيين تجاه الشيوعيين والاشتراكيين والملحدين وبعض المجموعات القريبة منهم، بهدف معرفة مدى قبول المستجوبين بتمتّع هذه المجموعات، التي يبدو عليها أنها «غير محبوبة»، بالحريات المدنية والسياسية على غرار باقي أفراد المجتمع الأمريكي. وخلصت دراسة هذه الاتجاهات عند عيّنة تقارب (2400) مبحوثاً من المواطنين العاديين، و(1500) زعيماً محليّاً إلى انتشار اللاتسامح في أوساط المجتمع الأمريكي. ويعتقد ستوفر أن الرغبة في تجريد المجموعات غير المحبوبة من حقوقها السياسية يرجع إلى تمثلها من طرف المبحوثين مصدراً للخطر على المجتمع الأمريكي في تلك المرحلة بالذات، التي عرفت صعوداً للمدّ الاشتراكي عبر العالم، وتوظيفاً مكثّفاً لذلك من طرف الإعلام الأمريكي في الدعاية السياسية المضادة. وبصرف النظر عن الانتقادات التي وجهت إلى هذه الدراسة، لا تزال تغذّي التصور الذي يحكم العديد من المسوح والقياسات حول درجة التسامح السياسي على امتداد العالم.[4]

ينتقد ويليام لورانس سوليفان وزملاؤه تصوّر ستوفر، معتبرين أنه لا يعكس في الواقع جوهر التسامح/اللاتسامح السياسي. فالتركيز على مجموعات سياسية واجتماعية ذات توجهات يسارية لا يعطي فكرة واضحة حول حجم مشاعر اللاتسامح الكامنة فعلياً في المجتمع طالما لم يتمّ إدراج فئات أخرى لا تنتمي بالضرورة إلى طيف سياسي معيّن[5]. فالنتائج التي توصّل إليها ستوفر تبقى في نظرهم مجرد اتجاهات ومواقف ليس هناك ما يفيد بأنها تعبّر عن اللاتسامح السياسي. ولتجاوز هذه النقائص، اقترح سوليفان وزملاؤه خطة بديلة تتأسّس، في المقام الأوّل، على تعريف للتسامح السياسي بكونه توجهاً إيجابياً نحو السماح بالتعبير السياسي

3 من بين هذه الأعمال، يمكن الرجوع، مثلاً، إلى:

- Lasswell, H., «*Democratic character*», published in the Political writing of H. Lasswell. The Free Press, 1951, p. 465-525

- Adorno, T., et al, *The authoritarian Personality*. New York, Harper, 1950, p. 990

4 Gibson James L., «Alternative Measures of Political TOLERANCE: Must TOLERANCE be "LEAST-LIKED"?», *American Journal of Political Science*, Vol. 36, No. 2 (May, 1992), pp. 560-577

5Sullivan, John L.; Piereson, James E.; and Marcus, George E. «AN ALTERNATIVE CONCEPTUALIZ - TION OF POLITICAL TOLERANCE: ILLUSORY INCREASES 1950S–1970S», *The American Political Science Review*, Volume 73, Issue 3, (Sep 1979), pp. 781- 794

لفائدة المصالح والآراء والأفكار التي تتعارض مع معتقداتنا ومصالحنا[6]. وفي المقام الثاني، تتجسد الخطة في تحديد الجانب الإجرائي من خلال جرد المبحوثين للائحة من المجموعات التي يكرهونها وينفرون منها. وتغطّي اللائحة، التي اقترحها الباحثون على المبحوثين، أطيافاً مختلفةً من المجموعات المنبوذة اجتماعياً، كما تُعطي الفرصة للمستجوبين لإضافة فئات أخرى من اختيارهم. كما يطلب الاستجواب منهم أيضاً التعبير عن مدى معارضتهم أو قبولهم تقلّد المجموعات التي ينفرون منها مناصب سياسية ووظائف عمومية ترتبط بالتنشئة الاجتماعية، وكذلك إبداء رأيهم حول مسألة ممارسة هذه المجموعات حقوقَها السياسية، كالقيام بالتظاهرات الاحتجاجية على سبيل المثال. وأطلق سوليفان على هذه المقاربة اسم «المجموعة المحبوبة بدرجة أقل» (*Least-liked group*). ويرى أنها تشكل بديلاً قياسياً عن منهجية ستوفر، بفضل اعتمادها مقياساً للتسامح مبنياً على ضبط المحتوى (*Content-controlled Measure*).

وبالاعتماد على نتائج بحوثهم، حاول سوليفان وزملاؤه بناء نموذج نظري للمتغيرات التي تتحكم، بشكل مباشر أو غير مباشر، في مشاعر التسامح/اللاتسامح، وتوصلوا إلى تأكيد دور العوامل الإيديولوجية والنفسية والدينية، إضافة إلى معطيات ديمغرافية (العمر) والوضع الاجتماعي والمستوى التعليمي[7]. ومن أجل قياس درجة التسامح/اللاتسامح السياسي عند العيّنة المبحوثة، تمّ استعمال صورة مكيفة لمقياس المجموعات المكروهة بدرجة أقل، وهي الأداة نفسها المستعملة في المسح العالمي للقيم، الذي يشمل المغرب وبلدان عربية أخرى. ويتعين على كل مستجوَب ضمن هذه البلدان أن يحدّد، أوّلاً، إن كان ينفر من الشيعة، والاشتراكيين، وأعضاء الحركة الأمازيغية، والمدافعين عن الرأسمالية الليبيرالية، والمسيحيين، ومن الحركة السلفية الجهادية، ومن المدافعين عن الإجهاض، والمهاجرين القادمين من جنوب الصحراء، والمثليين الجنسيين، والملحدين، واليهود. وبإمكان المستجوَب أن يضيف مجموعات أخرى لم ترد في اللائحة، وأن يبيّن درجة معارضته ممارسةَ هذه المجموعات وظائف سياسية وبيروقراطية وحقوقاً سياسية، كالمشاركة في التظاهرات مثلاً.

ونعتمد، في دراستنا، أغلب عناصر هذا التحليل، مع العمل على تحيينه؛ حيث تقوم على فرضية مفادها أن عناصر جماعات الإسلام السياسي في المغرب يقبلون قواعد الديمقراطية في معناها التقني، ولكن يعسر عليهم الاعتراف بحقوق سياسية ومدنية لصالح المجموعات التي يكرهونها، كما أنهم يعارضون تقلّد هذه المجموعات مناصبَ سياسية وبيروقراطية، أو وظائف مرتبطة بالتربية والتنشئة الاجتماعية. أمّا الافتراض الثاني، فمفاده أن هذه الخطاطة لا تنطبق بتماثل على جميع الإسلاميين في علاقة بعامل ثقافي يمكن تفريعه

6 Ibid, p. 784

7 John L. Sullivan, George E. Marcus, Stanley Feldman, James E. Piereson, «THE SOURCES OF POLITICAL TOLERANCE: *A* MULTIVARIATE ANALYSIS», *The American Political Science Review*, Vol. 75, No. 1. (Mar., 1981), pp. 92-106

إلى متغيرين، هما الانتماء الحركي (متغير إيديولوجي)، والخصائص الذاتية-النفسية لكل مبحوثين (متغيّر شخصي يرتبط بالتنشئة).

3. الإطار المنهجي للدراسة:

تتكون عينة دراستنا من (180) مبحوثاً ينتمون بالمقدار نفسه (60 مبحوثاً) إلى كلّ جماعة من جماعات «العدل والإحسان» و«السلفية» و«التوحيد والإصلاح». ويتوزّع المبحوثون جغرافياً بين مناطق ومدن: سلا، والدار البيضاء ومراكش. وينتظمون من زاوية المتغيرات الديمغرافية وفق الجداول الآتية:

جدول 1. توزيع عينة الدراسة حسب السن

السن	%النسبة المئوية
أقل من 30 سنة	53,1
بين 30 و45 سنة	39,3
أكثر من 45 سنة	7,5
المجموع	100

جدول 2. توزيع عينة الدراسة حسب الجنس

الجنس	%النسبة المئوية
الذكور	73,4
الإناث	26,6
المجموع	100

جدول 3. توزيع عينة الدراسة حسب المستوى الدراسي

المستوى الدراسي	%النسبة المئوية
الابتدائي	1
الثانوي	16,7
الجامعي	82,3
المجموع	100

للإجابة عن إشكالية الدراسة وفحص فرضياتها، تمّ إدراج سلسلة من المتغيرات المستقلّة المتوقع تأثيرها في متغير التسامح/اللاتسامح السياسي. ويلخّص الجدول الآتي العوامل المعتمدة في التحليل:

جدول 4. ما اعتمدته الدراسة من عوامل وترجمتها إلى متغيرات:

العوامل	المتغيرات
العوامل الديمغرافية والاقتصادية	العمر، المستوى التعليمي، الدخل، الوضع الاقتصادي، المهنة، الحالة العائلية (زواج، عدد الأطفال، ...)
العوامل الثقافية	القيم الغائية والأداتية[1*] نسق القيم الأخلاقي والأداتي[2*]
العوامل السياسية	الكفايات الديمقراطية التصريحية والإجرائية[3*]
العوامل الدينية	درجة التدين، منسوب التشدد[4*]

وقد تمّ تحليل المعطيات باستعمال حزمة الأدوات الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Spss)، وكذلك برنامج (Amos)، من أجل اختبار العلاقات البنيوية بين المتغيرات قيد الدراسة.

ثانياً: التديّن والتسامح والبيذاتية في المغرب

بيّنت لنا دراسات سابقة، عملنا فيها على رصد مظاهر الكراهية في المجتمع المغربي، تغلغل مشاعر النفور والإقصاء في الخريطة النفسية للمغاربة. كما لاحظنا انصباب العدوانية على فئات لا تحظى بالقوة الاجتماعية والديمغرافية اللازمة لصدّ إسقاطات الوعي الجمعي. وعددنا ذلك علامة على استشراء الشخصية السلطوية في السياق المغربي[8]. كما شهدت خطابات إثنوغرافية وأنثربولوجية، جعلت من الاجتماع موضوعاً لها، على تعدد مظاهر اللاتسامح، وعلى أنها تتجاوز المختلفين في الملّة والدين لتشمل المختلفين في اللون

1* Rokeach, Milton. *The Open and Closed Mind*. Basic Books, Inc.: New York, 1960, xv + 447 pages.

2* Steven J. Musser, Eric A. Orke, « Ethical Value Systems: A Typology », *the Journal of Applied Behavioral Science*, Vol 28, Issue 3, 1992, pp. 348-362

3* Torney-Purta, J., Lehmann, R., Oswald, H., and Schulz, W., « Citizenship and Education in Twenty-eight Countries: Civic Knowledge and Engagement at Age Fourteen », *The International Association for the Evaluation of Educational* (Competences civiques), 2001

4* Batson, C. D., & Ventis, W. L, *The religious experience: A social-psychological perspective*. New York, Oxford University Press, 1982, p. 368

8 Hougua, B. A., «Autoritarisme de droite et action collective dans le contexte culturel Marocain: Données emp - riques et leçons sur le "le printemps arabe"», in: Bennis, S &Tarik, H (éds), *Trajectoires de la vie et de la science: sur la fondation et lřengagement, les sciences sociales et la réflexion sur la politique, lřEtat et les politiques*, hommage au professeur Abdellah Saaf, Publication de la revue Marocaine des politiques publiques, Tome II, 2016, pp. 29-50

واللغة والعرق؛ بل القبيلة والمجال[9]. وعلى الرغم من كثافة الانتقادات القدحية التي دأب المثقفون المغاربة على توجيهها إلى هذه الكتابات، فإن العناصر التي كشفت عنها بالغة الأهمية في فهم مواقف المغاربة واتجاهاتهم نحو ما هو غير مألوف•[10]. وقد لا حظ غيرتز أن الأسلوب التديّني لدى المغاربة، الذي أعلن عن زواله إبّان الاحتلال الفرنسي، لا يزال موجوداً في كلّ مكان؛ حيث ظلّت التقوى الخارجية، وعنف الطبع الديني، والرغبة في تأكيد الذات، تمنع المتديّن المغربي من تسامي الروح، ونكران الذات، والاتحاد في الله مع الأجناس الأخرى، ومعانقة الكونية[11]. ويظهر المبيان أسفله كيف يتموقع المغاربة بالنسبة إلى القيم الدنيا للإنسية (موقف مركّب)[12] حسب المسح الدولي للقيم الذي يخص المجتمع المغربي[13]؛ حيث لا تتجاوز نسبة المستجوَبين الذين يتطلعون إلى الإنسية (10%)، بينما تصل الفئة المضادة لهذا التوجه إلى (70 %).

رسم1. توزيع المغاربة حسب النزعة الإنسية

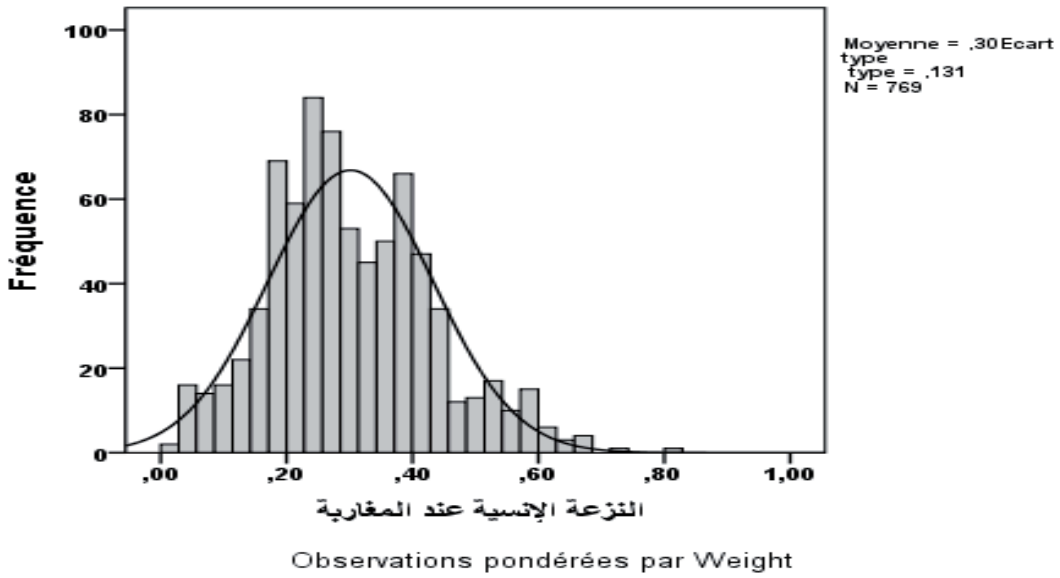

وبحسب إدوارد سعيد، توجد في صلب كل نزعة إنسية أنثروبولوجيا فلسفية تتعارض مع الأخلاق الائتمارية الحاضرة بقوة في الأديان والتقاليد[14]. وفي حالة الإسلام، باءت بالفشل تلك المحاولات التي كانت

9 Rachik, H., *Le proche et le lointain, un siècle d'anthropologie au Maroc*, Paris, Editions parenthèses, 2012, p. 288

10• بارك العديد من فرسان العدالة والتنمية مقتل السفير الروسي في تركيا على إثر حادث إرهابي، فانتهى الأمر ببعضهم في السجن قبل أن يصدر عفو ملكي في حقهم.

11 Geertz, C., *Islam observed, Religious Development in Morocco and Indonesia*, The University of Chicago Press, Chicago & London, 1971, p.144

12 Welzel, C., *Freedom Rising: Human Empowerment and the Quest for Emancipation*, Cambridge, Cambridge University Press, 2013, p. 480

13 World Values Survey Wave 6, 2010-2014 Official Aggregate v.20140429. World Values Survey Association (www.worldvaluessurvey.org). Aggregate File Producer: Asep/JDS, Madrid Spain.

14 Edward, S., *Humanism and democratic criticism*, New York, Columbia university Press, 2004, p.154

تروم تخليص الأخلاق من قبضة الدين، مع استثناءات قليلة[15]؛ حيث ظلّ التسامح بوصفه مبدأً أخلاقياً كونياً، في تعارض مع التأويل الأرثذوكسي، الذي استنفذ النص الإسلامي المقدّس من خلال الاستحواذ عليه. وعلى الرغم من الانفتاح الذي عرفه المغرب جرّاء تعرّضه لموجات تحديث متتالية، يبيّن الجدول أسفله، المستوحى من المعطيات الكمية لموجات المسح الدولي حول القيم (2001 - 2011)، بأن معظم المغاربة يرفضون جوار المجرمين وشاربي الخمر والمضطربين عقلياً والمصابين بالإيدز والمثليين والسياسيين المتطرّفين، ويقبلون نسبيّاً المهاجرين والأقلّيات الدينية واللغوية.

جدول 5. نسبة النفور من المجموعات المنبوذة عند المغاربة

المجموعات	لا يرغب في جواره%	يرغب في جواره %
الأشخاص الذين لديهم سجل جنائي	**68,30**	31,70
أشخاص من عرق مختلف	**16,82**	83,18
مدمنو الخمر	**81,99**	18,01
أشخاص ليس لديهم استقرار عاطفي	**71,53**	28,47
المهاجرون والعمال الأجانب	**18,05**	81,95
المصابون بمرض السيدا	**65,18**	34,82
مدمنو المخدرات	**87,61**	12,39
المثليون الجنسيون	**89,31**	10,69
أشخاص من ديانة مختلفة	**27,76**	72,24
السياسيون المتطرفون	**78,75**	21,25
المهرّبون	**92,70**	07,30
رجل وامرأة غير متزوجين ويعيشان معاً	**72,07**	27,93
أشخاص يتكلمون لغة مختلفة	**18,67**	81,33

15 Arkoun, M., *Humanisme et islam. Combats et propositions*, Paris, Vrin, 2005, p.315

تعطي هذه النتائج فكرة أوّلية حول التباعد بين الأسلوب التديّني لدى المغاربة والاستعداد للتعايش مع «مكروهين» اجتماعيين وأخلاقيين وسياسيين...إلخ. ومن العمق الهوياتي لهذا الأسلوب، يمتدّ الأثر إلى المبادئ العملية التي تحكم البيذاتية في السياق المغربي. يقول غليفورد غيرتز[16]:

«في المغرب، تبدو مجمل الحياة اليومية دهرانية بما فيه الكفاية لتناسب العقلاني الجموح. فالاعتبارات الدينية، في شدّتها، لا تغطي سوى مناطق محدودة جداً من السلوكات والمواقف؛ بحيث يصبح المرء أكثر قسوة في التعاملات التجارية والشؤون السياسية، وهو ما يذكر، في شكلها الفظيع، بذلك المزيج العجيب من التقوى الشخصية والعنف المهني الذي نلقاه عند رجال العصابات الأمريكيين».

وعلى الرغم من أهميتها التحليلية، تميل هذه الاستنتاجات - الملاحظات إلى اتخاذ صيغة النماذج المثالية التي تنطبق على جموع وفئات من دون أن تتوجّه إلى مسلم مغربي معيّن على وجه التحديد. عمليّاً وفي مجريات الحياة اليومية، لا تخلو خبرات المغاربة من معطيات تؤكّد صلاحية ملاحظات غيرتز مثلاً. فقد فطن منهم العديدون، بفضل تجاربهم اليومية، كيف يَحْذَرُونَ من المتعاملين معهم، حتى إن كانوا من ذوي اللحية أو السبحة. ولكن ما يهمنا أكثر، من منظور دراستنا، هو أن تجسدات اللاتسامح هذه، التي أشار إليها غيرتز، تعدّ نظيراً غير سياسي لما يعدّه جون راولز أساساً أخلاقياً لنقاش عمومي عادل بين مذاهب متعارضة ولكنها معقولة[17]. ويشكل صنو التسامح السياسي هذا، إضافةً إلى الثقة ورأس المال الاجتماعي، أحد الأسس النفسية الرئيسة للديمقراطية[18]. فكيف يمكن تطبيق هذا الانتقال من التديّني-المعاملاتي اليومي إلى السياسي في ما يهمّ مواقف الإسلاميين المغاربة من المجموعات المنبوذة؟

16 Geertz, C., *Islam observed*, op.cit, pp. 112-113

17 Rawls, J., *The Law of The Peoples With The Idea Of Public Reason Revisited*, Cambridge, MA, Harvard UP, 2003, pp. 151-152

18 SULLIVAN J. L., & TRANSUE, J. E. *The* PSYCHOLOGICAL UNDERPINNINGS *of* DEMO - RACY*: A* SELECTIVE REVIEW *of* RESEARCH *on* POLITICAL TOLERANCE*,* INTERPERSONAL TRUST*, and social capital*, Annual review of psychology, Vol. 50, 1999,p. 625

ثالثاً: من أين يأتي تهديد الإسلام؟

ينهل الإسلام السياسي دوافعه الوجدانية ومكوّناته المعرفية في مسألة التعامل مع الغيرية من المنظومات الإيديولوجية، التي جعلت من الإسلام عقيدة سياسية تتوخّى تطبيق إرادة الله. وإذا كانت هذه المنظومات الفكرية عابرة للمجتمعات، بحكم التوسّع الحاصل لوسائط التواصل الاجتماعي والدعم المادي والرمزي، فإن دور الشيوخ والزعماء الدينيين كان فعّالاً في ذلك منذ بروز ما سُمّي الصحوة الإسلامية.[19]

وتشير الدراسات في هذا الشأن إلى أن مفردات تلك المنظومات الإيديولوجية، من اتجاهات وأفكار ومواقف، ذات وقع أعمق كلّما زادت المعاناة الاجتماعية والاقتصادية للمرشّحين لتبنّيها، وقلّت أمامهم الفرص الكفيلة بتحسين أوضاعهم المعيشية[20]. أمّا في مستوى ترجمة تلك المنظومات في مواقف سياسية، فتبين نتائج الجدول أسفله بأن التسامح/اللاتسامح السياسي لا يسير دائماً في انسجام مع مستويات التسامح/اللاتسامح الاجتماعي العام.

جدول 6. نسبة النفور من المجموعات التي تشكل تهديداً عند الإسلاميين

التحليل العاملي للمكونات الأساسية[a]		
	المكونات	
	1	2
الشيعة	,755	
دعاة الإجهاض	,697	
الشيوعيون	,570	
الأمازيغيون الراديكاليون	,567	
المهاجرون الأفارقة		,731
الليبراليون		,626
المسيحيون		,589
المثليون		,483
Méthode d'extraction : Analyse en composantes principales. Méthode de rotation : Varimax avec normalisation Kaiser.		
a. Convergence de la rotation dans 3 itérations.		

19 غولد، دور، **مملكة الكراهية؛ كيف دعمت العربية السعودية الإرهاب العالمي الجديد**، ترجمة محمد جليد، منشورات الجمل، بيروت، الطبعة الأولى، 2014، 446 صفحة.

20 Dialmy, A., *La* FABRIQUE DE L'ISLAMISME MAROCAIN. Prèmiere édition, Casablanca, Les Éditions Toubkal, 2016, p. 259

جدول 7.نتائج التحليل العاملي للمجموعات المنبوذة

المجموعة	الجواب	النسبة المئوية %
الشيعة	لا أنفر منهم	22,6
	أنفر منهم	77,4
الشيوعيون	لا أنفر منهم	58,4
	أنفر منهم	41,6
أعضاء الحركة الأمازيغية المتطرفون	لا أنفر منهم	29,8
	أنفر منهم	70,2
المدافعون عن الرأسمالية الليبرالية	لا أنفر منهم	54,1
	أنفر منهم	45,9
المسيحيون	لا أنفر منهم	66,9
	أنفر منهم	33,1
المدافعون عن الإجهاض	لا أنفر منهم	35,1
	أنفر منهم	64,9
المهاجرون القادمون من جنوب الصحراء	لا أنفر منهم	86,2
	أنفر منهم	13,8
المثليون الجنسيون	لا أنفر منهم	12,5
	أنفر منهم	87,5
الملحدون	لا أنفر منهم	17,0
	أنفر منهم	83,0
اليهود	لا أنفر منهم	39,0
	أنفر منهم	61,0

وينسجم ذلك مع اللوحة العامة؛ إذ على الرغم من الطبيعة المعيارية للمزاج الديني لدى المغاربة، تظلّ علاقة التدين الشعبي باللاتسامح متذبذبة[21]. وممّا يجسد ذلك ما يقوله أحد أعضاء الجماعة السلفية في المغرب في شأن الحقوق السياسية للأقليات▫[22]:

«نحن يجب أن نسمع صوت هؤلاء، ضروري. الآخر نصراني، يهودي، شيعي، الأفضل لي أن أتركه على جنب أو أن أقرّبه إلي، ليس بأن أشركه في العمل السياسي لكي يحكم، لا، بل لأجعله بوابة لي، أو نافذة لأعرف ما هو الفكر السياسي لدى هؤلاء الفئة، حتى إذا كان القرار الذي سوف أقرّر به شيئاً معيناً، تكون عندي بوابة أنفتح بها على هاته الجهة».

إن السؤال الرئيس الذي يلازم البحث في ظاهرة اللاتسامح يدور حول البنية العقلية المسؤولة عن النفور من المجموعات التي ينظر إليها على أنها تهديد. ومن أجل الإجابة عن هذا السؤال في ما يهم الإسلاميين المغاربة، تمّ فحص البنية العاملية لمقياس سوليفان المكيف باستعمال التحليل العاملي للمكونات الأساسية، وقد أبانت النتائج عن انتظام معظم المجموعات في عاملين اثنين يفسران (46%) من التباين الإجمالي (الجدول رقم 7 أعلاه). والعاملان هما: الخروج عن المألوف والتغريب.

21 Tessler, M., « Islam and Democracy in the Middle East: The Impact of Religious Orientations on Attitudes towards Democracy in Four Arab Countries », *Comparative Politics*, Vol. 34, N. 3, 2002, pp.337Ŕ354

▫22 مقابلة أجريت مع المبحوث في مدينة تطوان، بتاريخ 01 كانون الأول/ ديسمبر 2016، الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً.

ورغبة منّا في التأكد من مصداقية النتائج، لجأنا إلى التحليل العاملي التوكيدي باستعمال (Amos 22). وقد أسفر التحليل عن الاحتفاظ بالعاملين المذكورين، مع هامشية بعض المجموعات كالشيعة والمثليين والمهاجرين الأفارقة. وقد بلغت المؤشرات الإحصائية مستويات عالية[23]. ويبيّن الرسم أسفله النتائج المحصلة عليها:

رسم2. نتائج التحليل العاملي التوكيدي لمقياس سوليفان المكيف

المؤشر	المقدار	العتبة	الجودة
CMIN	4,095	--	
DF	4	--	
CMIN/DF	1,024	بين 1 و 3	ممتاز
CFI	0,996	>0.95	ممتاز
SRMR	0,026	<0.08	ممتاز
RMSEA	0,009	<0.06	ممتاز
PClose	0,709	>0.05	ممتاز

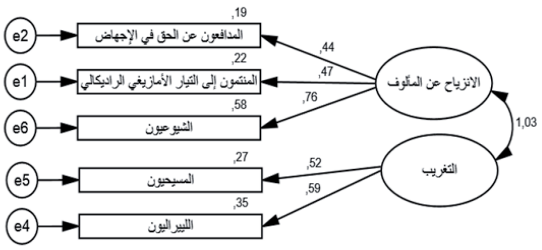

أكد التحليل العاملي التوكيدي أن المجموعات المنبوذة تنتظم حسب أثر العاملين الرئيسين؛ حيث يهمّ العامل الأول المدافعين عن الحق في الإجهاض، والمنتمين إلى التيار الأمازيغي الراديكالي، إضافة إلى الشيوعيين. أمّا العامل الثاني، فيهم المسيحيين والليبراليين.

وحين نفحص العامل الأول يتضح أن ما يجمع بين مكوناته في نظر الإسلاميين يتجسد في الخروج عن المعايير العامة التي تحكم الانتماء إلى الأمة الإسلامية. فالفرد لا ينتمي تلقائياً إلى أمة الإسلام بمجرد توحيده لله وإيمانه برسله وأنبيائه؛ وإنما من خلال «عدم الإتيان بما يهدد الثوابت اللغوية والثقافية والسياسية والجنسية للإسلام». إن دعاة الإجهاض والشيوعيين والراديكاليين الأمازيغيين يمثلون، من وجهة نظر المبحوثين الإسلاميين، ما يسميه الدكتور أحمد أغبال الانزياح عن المألوف♦[24]. ويتعلق الأمر ببنية عقلية إقصائية تنتج آثاراً وخيمة على مستوى الاجتماع السياسي، حينما تشتغل على مستوى قطاعات واسعة من المجتمع. لقد أجهضت تدخلات الإسلاميين، في مرحلة إعداد مشروع دستور 2011، مجموعة من الحقوق الثقافية والمدنية، باعتبارها تضرب ثوابت الأمة المغربية المتمثلة في الدين الإسلامي واللغة العربية.

أمّا العامل الثاني، فيطرح إشكالية أعقد على مستوى التأويل. فكيف تجمع أجوبة الإسلاميين بين مجموعتين متناقضتين ظاهرياً في عامل واحد؛ أي بين المسيحيين والليبراليين؟ تقبع وراء هذه الإجابات بنية ثقافية تشكلت في خضم الصراع بين الإسلام والغرب على شاكلة زوج تقابلي بين دار الإسلام ودار

23 Gaskin, J. & Lim, J. (2016), "Model Fit Measures", AMOS Plugin. http://statwiki.kolobkreations.com/index.php?title=Main_Page

♦24 تكلف الدكتور أحمد أغبال، بعد إجراء التحليل العاملي التوكيدي، بدراسة النتائج المحصل عليها، وتأويل العاملين المذكورين في اتجاه الانزياح عن المألوف والتغريب، له جزيل الشكر بخصوص إثارة انتباهنا إلى العمق الثقافي والتاريخي لهذين العاملين.

الحرب. وقد ساهمت هذه الثنائية، بما رافقها من استيهامات تاريخية، في بناء خيال الإنسان المسلم تجاه الحضارة الأوربية «الكافرة».

رابعاً: محددات النفور من المجموعات المنبوذة عند إسلاميي المغرب

ومع ذلك، لا يمكن وضع الإسلاميين، جماعات أو فرادى، فيما يتعلق بمسألة التسامح، في سلة واحدة؛ إذ تؤكد دراسات أن النخب، مثلاً، أكثر قبولاً للغيرية السياسية مقارنة بالأتباع [25]، وهي نخب عادة ما تكون مدفوعة، على الأقل، إلى أن تكون أكثر واقعية؛ لأنها أكثر دراية بأغوار الممارسة السياسية، وما تقتضيه من تحالفات وتنازلات تجعل التعامل مع الخصوم ضرورة لا مفرّ منها.

وإذا كان بالإمكان النظر إلى مجموعات البحث تمثيلاً، لدرجة الاندماج في الحقل السياسي، وما يرتبط بذلك من توزيع للمنافع والمصالح والمناصب، فإن جماعة التوحيد والإصلاح، بدرجة أكبر، ستمثل الجماعة الأقل تعبيراً عن اللاتسامح مقارنة بالسلفية. ولا تختلف في ذلك مع العدل والإحسان نظراً لتجربة هذا الفصيل الإسلامي في التحالفات مع أطياف اليسار الراديكالي والمعتدل، وانخراط أعضائه في تنظيمات جمعوية ونقابية ذات مرجعية يسارية. يقول أحد قادة العدل والإحسان بخصوص التعامل مع الأقلّيات◄[26]:

«من الغباء أن الإسلاميين يسارعون إلى الاستحواذ، ولو عرض عليهم في طبق من ذهب وفي أريحية، سنطالب أن نكون جزءاً من باقي الأجزاء من المجتمع. نبني مع هؤلاء الناس بيئة عمل مشترك، تبدأ، قبل العمل السياسي، بعمل آخر، وهو تحضير نفسي وتحضير عقلي للتعايش. هل هناك أحد يتصور أن يجلس عضو من العدل والإحسان مع عضو من النهج الديمقراطي».

وإذا كان التغلغل في مفاصل الدولة، بالنسبة إلى جماعة التوحيد والإصلاح المرتبطة بحزب العدالة والتنمية، الذي قاد ولايتين حكوميتين منذ (2011)، قد أدى دوراً في الواقعية السياسية لأعضائه، في انتظار أفق سياسي غير معلوم، فإن جذور جماعة السلفية وطبيعة التكوين الإيديولوجي لأعضائها قد جعلها تحتل مواقع عليا على مستوى النفور من المجموعات التي تمثل التغريب والانزياح عن المألوف. وتكشف نتائج

25 راجع على سبيل المثال:

-McClosky H, Zaller J., *The American Ethos*. Cambridge, MA: Harvard Univ. Press, 1984, p.342

-Sullivan JL, Walsh P, Shamir M, Barnum DG, Gibson JL. « Why politicians are more tolerant: selective recruitment and socialization among political elites in Britain, Israel, New Zealand, and the United States », *British Journal of Political Science,* Vol 23, Issue 1, Jan 1993, pp. 51-76

◄26 مقابلة أجريت مع المبحوث في مدينة تمارة، بتاريخ 10 كانون الأول/ ديسمبر 2016، الساعة الحادية عشرة صباحاً.

التباين (F= ; 28.86 P<0.001) عن مواقع المبحوثين الإسلاميين على مقياس الجماعات المنبوذة لسيلفان وزملائه:

رسم3. الانزياح عن المألوف عند الجماعات الثلاث

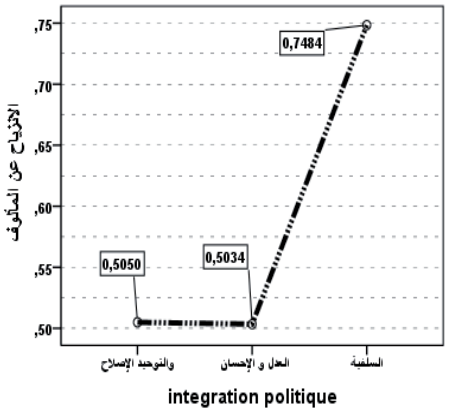

رسم4. التغريب عند الجماعات الثلاث

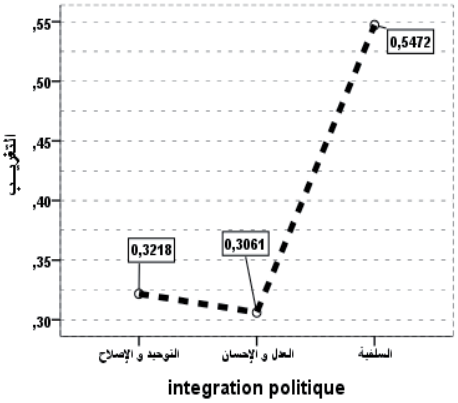

على المستوى الفردي، يميل النفور من المجموعات التي تشكل تهديداً في نظر الإسلاميين إلى التأثّر بالمنظومة القيمية التي تندرج داخلها دوافع المبحوثين. ولدراسة كيفية تأثير القيم الثقافية في الاتجاه نحو التسامح السياسي، تمّ تمرير لائحة مكيفة من القيم الأداتية والغائية لميلتون روكيش[27] على المبحوثين المنتمين إلى الجماعات الثلاث.

يمكن تقسيم القيم الأداتية إلى منظومتين رئيستين: منظومة ترتكز على أخلاق مجموعة الانتماء، ومنظومة أخرى تجعل من الفعالية الذاتية المرتكزة على مؤهلات الفرد أساسا لها. أمّا القيم الغائية، فيمكن التمييز بداخلها بين القيم الشخصية التي تدور حول الفرد وأهدافه الذاتية والقيم الاجتماعية التي تروم تحقيق أهداف جماعية.

27 Rokeach, M., *The Nature of Human Values*, New York, Free Press, 1973, p. 438

وباعتماد منهجية ستيفن موسر وزملائه[28]، تمّ تقسيم المبحوثين، حسب درجة استجابتهم لفقرات المقياس، إلى أربعة ملامح، يوضحها الجدول الآتي:

جدول 8. التوجهات الثقافية عند العينة المبحوثة من الإسلاميين

		القيـــــم الأداتيـــــة	
		أخلاقية	مهاراتية
القـــيم الغائية	فردية	الفرداني الأخلاقي	الفرداني الأداتي
	اجتماعية	الجماعاتي الأخلاقي	الجماعاتي الأداتي

تسمح هذه المنهجية بإبراز أربعة توجهات ثقافية في أوساط المبحوثين الإسلاميين:

- الجماعاتي الأخلاقي: الذي يستعمل وسائل ومعايير أخلاقية لتحقيق أهداف المجموعة التي ينتمي إليها، ويمثل ما يقارب (24.92%) من العيّنة المبحوثة.
- الفرداني الأخلاقي: يستعمل هو أيضاً معايير أخلاقية لتحقيق أهدافه الخاصّة، ويمثل ما يقارب (22.95%) من العيّنة.
- الجماعاتي الأداتي: الذي يستعمل مؤهلاته وكفاءته الشخصية لتحقيق أهداف المجموعة التي ينتمي إليها. ويمثل هذا الملمح (26.56 %) من العدد الإجمالي للمبحوثين.
- الفرداني الأداتي: الذي يعتمد على قدراته الذاتية في تحقيق أهدافه الخاصة. يمثل هذا النموذج (25.57 %) من المستجوبين الإسلاميين.

من المفترض أن توجد فروق إحصائية بين الملامح الأربعة فيما يخص النفور من المجموعات التي تمثل تهديداً، ومن المرجح أيضا أن يتفوق ذوو المعايير الأخلاقية على مقياس سيلفان. تؤكد نتائج تحليل التباين هذه التوقعات فيما يتعلق بالانزياح عن المألوف (**$F=4.29$; $p<0.01$**)؛ حيث يتقدّم الفرداني الأخلاقي والجماعاتي الأخلاقي على الملمحين الآخرين. وتبدو هذه النتائج منطقية، باعتبار أن الانزياح عن المألوف يتعارض بالدرجة الأولى مع الأشخاص ذوي الدوافع التي تنهل من التوجهات المعيارية التي تتبنّاها الجماعة، وذلك عكس الأشخاص الأداتيين الذين يرمون إلى تحقيق غاياتهم عبر المؤهلات

28 Steven J. Musser, Eric A. Orke, « Ethical Value Systems: A Typology », *the Journal of Applied Behavioral Science*, op.cit.

الشخصية والفعالية الذاتية. أمّا فيما يخص التغريب، فلم يسجّل التحليل الإحصائي المعتمد فروقاً بين الملامح الأربعة (**F=2.28 ; p>0.05**). ويبين الرسم أسفله الفروقات المسجلة على المتغير المرتبط بالخروج عن المألوف:

رسم5. الانزياح عن المألوف عند الإسلاميين

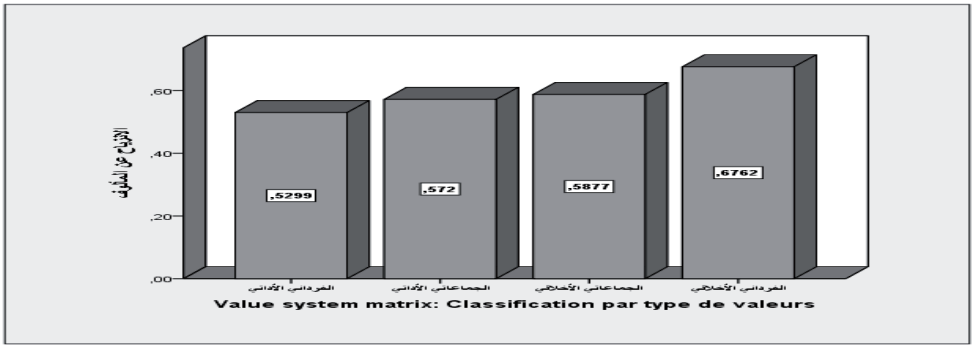

إضافة إلى التوجهات الثقافية للمبحوثين، يتأثر الاتجاه نحو التسامح بالعديد من المتغيرات الديمغرافية والنفسية. وقد كشف تحليل الارتباطات عن وجود علاقة ارتباط عكسية بين المستوى التعليمي والوضع الاجتماعي ومعدلات النفور من المجموعات قيد الدراسة. وأوضحت النتائج أيضاً ارتباطات موجبة لهذا النفور مع التديّن المتشدّد وكفايات المواطنة التصريحية منها والإجرائية.

ويبدو، من خلال النمذجة البنائية المعتمدة لدراسة التوسطات بين هذه المتغيرات باستعمال برنامج (Process)[29]، أن ضعف المستوى التعليمي والكفاية الديمقراطية التصريحية يساهم بشكل مباشر وملحوظ في ارتفاع مشاعر النفور من المجموعات التي تمثل التغريب، وترمز إلى الانزياح عن المألوف، بينما نرى أن تأثير الكفاية الديمقراطية الإجرائية لا تمارس أيّ تأثير مباشر. ويلاحظ، من جهة أخرى، أن التديّن الشديد يرفع من منسوب اللاتسامح والنفور من المجموعات التي تشكل تهديداً؛ ويعني ذلك أنّ معضلة التسامح في وسط الإسلاميين ترتبط، بالدرجة الأولى، بنمط معيّن من المعارف التي تفتقد في منهجية بنائها إلى الحسّ النقدي واستعمال الحجاج المؤدّي إلى فحص الرأي الآخر، ومناقشة الحجج التي يستند إليها من الناحية العقلية. ويوضح الرسم أسفله مسارات النموذج الافتراضي للعوامل المتحكمة في الموقف من المجموعات المحبوبة بدرجة أقل وفق التعبير الناعم للورانس سوليفان:

29 Hayes, A. F., *Introduction to mediation, moderation and conditional process analysis*: A regression-based a - proach, New York, The Guilford Press, 2013, p.507

رسم 6. العوامل المؤثرة في النفور من المجموعات المنبوذة في وسط الإسلاميين

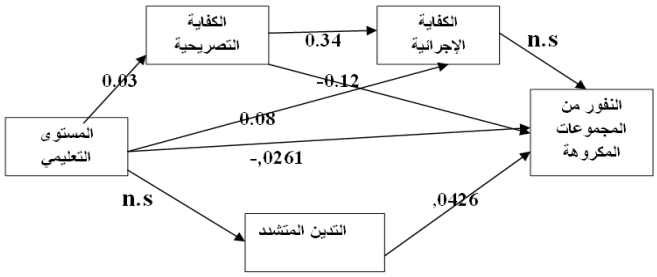

خاتمة:

خلاصة استنتاجاتنا هي أن مشاعر اللاتسامح لا ترتبط بمجموعات منبوذة بعينها، ولكن قائمة، حيث بإمكانها أن تجد لها هدفاً لها مجموعة أو أخرى، باعتبار ما تفرزه تطورات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في كلّ مرحلة معيّنة. وينسجم ذلك مع القاعدة التحليلية التي تقرّ بأن المشاعر العدوانية تبحث لها دائماً عن موضوع بديل للصراعات الداخلية التي تفتك بالديناميات النفسية للشخص غير المتسامح، وغالباً ما يكون هذا الموضوع مرتبطاً بالسياق الاجتماعي العام، ويمكن أن يتجسد في موضوع سياسي يتمّ تعيينه على أسس فكرية، أو إيديولوجية، أو اعتقادية، قد تمتدّ جذورها الثقافية والنفسية إلى قرون خلت. هذا هو شأن التغريب الذي ظلّ على امتداد التاريخ الإسلامي الحديث يشكل بوتقة لانفلات مشاعر الكراهية تجاه فئات اجتماعية وطوائف دينية ظلت تتلون على وقع تطورات الأحداث السياسية العربية، وعلى الأخص منها تلك التي لها علاقة بالحضور الأوربي في مختلف مظاهر حياة المسلمين. وعلى هذه الخلفية، يتمثل دور الإسلام السياسي في توظيف هذا المكون الثقافي بشكل مكثف، وتوجيهه نحو التوجهات الأكثر راديكالية، أو الأكثر اعتدالاً، متحوّلاً من الأقصى إلى الأقصى حسب تموجات ضرورات حشد الأتباع، وتحديد الأعداء.

أمّا الخروج عن المألوف، فقد عرف محتواه تحولات مورفولوجية جذرية عبر التاريخ القيمي والأخلاقي للعرب والمسلمين. ولكن الثابت في قاموس الإسلام السياسي هو أن التعايش مع الغيرية المذهبية، أو الإثنية المختلفة، يكون أيسر ما لم يتعارض مع الجوهرانية الاعتقادية والمعيارية التي من خلالها يؤولون الإسلام معتمدين عناصر اللغة والانتماء الإثني-العنصري. وتتلازم تلك الجوهرانية مع الاعتقاد في الدونية الاعتقادية والمعيارية؛ أي الرمزية لغير المسلمين عامّةً من الأمم والشعوب والأقوام والإثنيات وصولاً إلى القبائل والعشائر... على ذلك يبدو لنا أن في قلب البناءات التاريخية-الاجتماعية للغير يوجد المخزون الذي يستمد منه الإسلاميون المغاربة مكوّنات مواقفهم من «منبوذيهم» على

هيئة بنية تراصفية تنتج مستويات متدرّجة من التسامح تقابلها موجات متلوّنة من الكراهية يتمّ وضعها وتعهدها وصيانتها ونفخها في أفئدة الأتباع. ولكن كلاً من الوضع والتعهد والصيانة والنفخ يحتمل على الدوام منسوباً، يزيد أو يقلّ، من التسامح، زيادةً ونقصانا يتأثران بالمتغيرات الثقافية (سياسية، دينية، سوسيو-ديمغرافية).

إن السؤال الأساس، الذي يتعلق بمجريات الممارسة السياسية العربية الحديثة ومدى عمق الظواهر الديمقراطية ورسوخها فيها، ذو مساس بموجات التحديث التي ظلت تخضع لها الأجيال الشابة من العرب على امتداد النصف الثاني من القرن العشرين على الأقل. ومفاد السؤال هو مدى ما أحدثته تلك الموجات من تغيير في الخرائط العقلية والثقافية للشباب العربي والمسلم من مجندي الإسلام السياسي، على اعتبار أن من شأن عوامل التحديث المختلفة أن تعيد صياغة علاقة الذات مع الغير، ولا سيّما حينما تتوافر مؤسسات سياسية عادلة كما يقول بول ريكور. فالمناخ السياسي والمؤسساتي المتسم بالديمقراطية والإنسية والعدالة يساعد في بناء اجتماعي متسامٍ للغيرية بمختلف ألوانها.

إن السؤال ينصبّ على الاستعمال السياسي للإسلام في بلد مثل المغرب، وعلاقته بسجل النوازع الفطرية، وكيفيات تحويلها إلى مستوى المذاهب السياسية المعقولة الكفيلة بتأثيث المجال العام بقيم الاختلاف والثقة الأخلاقية في الغيرية[30]. ومن المعلوم أن تقييمات كثيرة ترى، في هذا الخصوص، أن الإسلام السياسي لم يفعل إلا إضافة مسحة السلطوية المحافظة[31] على مكيافيلّية السلط العربية الإسلامية المختلفة. وعلى ما يبدو ليس ذلك خاصاً بالإسلاميين حينما تعلق الأمر بمواجهة حركة اجتماعية تبين بعد مأسستها لاحقاً أنها تخلّت عن عقيدة البلانكية[32]، وأضحت تشكو هي الأخرى من أعراض سلطوية اليسار[33]، الذي تقمّص مكيافيلّية الأمير[34]، وتعاطى هو أيضا أخلاق العائلية من دون عقدة ذنب.[35]

إذا صحّ انتقالنا من مظاهر التدين إلى مظاهر التسييس/التسيس التي كنا بصددها، صار ممكناً لنا أن نفهم بشكل أفضل مجمل السلوكيات والمواقف وردود الأفعال السياسية التي تسم الحياة السياسية

30 JOHN RAWLS , LIBÉRALISME POLITIQUE, Paris, éd.2, PUF, 1995, p. 450

31 Altemeyer, B., *Right-wing authoritarianism*. Winnipeg, Canada: University of Manitoba Press, 1981, p. 352

32 El Maslouhi, Abderrahim, « La gauche marocaine, défenseure du trône. Sur les métamorphoses d'une opp - sition institutionnelle », L'ANNÉE DU MAGHREB [En ligne], V | 2009, mis en ligne le 01 novembre 2012, consulté le 01 octobre 2017. URL: http://anneemaghreb.revues.org/485 ; DOI: 10.4000/anneemaghreb.485

33 Stone, W. F., & Smith, L. D. "Authoritarianism left and right". In W. F. Stone, G. Lederer, & R. Christie (Eds.), *Strengths and weaknesses: The authoritarian personality today*. New York: Springer-Verlag, 1993, p. 277.

34 Christie, R., Geis, F., *Studies in Machiavellianism*. New York, Academic Press, 1979, p. 430

35 حوكا (بن أحمد)، الزياني (عثمان)، «أخلاق العائلية ومستقبل الديمقراطية في العالم العربي»، دراسة قيد النشر

العربية منذ عشريات «الصحوة الإسلامية». لقد صبّ الإسلام السياسي الزيت على ثقافة سياسية كانت تعاني، في الأصل، من توهج أعراض مرضية متعددة. وإذا صح ما كنّا فيه من الربط بين المستويات الفردية والجماعية، صار أيسر لنا أن نفهم كيف، على المستوى الفردي، أبان الإسلاميون، في سلوكاتهم ومواقفهم الواقعية، عن الاستعاضة عن الأخوة في الوطن بالأخوة في الجماعة[36]، وصار أيسر لنا أن نفهم الآلية التي من خلالها أمكن لتبخيس الذات المجنّدة سياسياً وعقدياً أن تتجاوز عجزها الإنجازي في فضاء الحياة العامة منذ أن وجدت لمنبوذيّتها المستبطنة تعويضاً مزدوجاً؛ من خلال حب الله والإخوة في الجماعة من جهة، ومن خلال المساهمة في إعلاء الضغينة ضد أعداء الله بمشاربهم الثقافية والإيديولوجية المختلفة[37]. على خلفية آلية النبذ الإقصائي/التقريب الإدماجي هذه، يمكن أن يفهم المرء كيف تتخذ نصرة الأخ في الجماعة شكل عقيدة سياسية ودينية مكرسة[38]. ولئن كان هذا هو المبدأ الباطني الذي يحكم طبيعة تفاعل الإسلام السياسي مع البيذاتية فقد تبيّنا أن ثمّة احتمالاً معقولاً لوجود فروق داخل الجماعات السياسية الدينية الإسلامية في التعامل مع الغيرية؛ وعلى الأخص كلما انعدم التوافق بين التبريرات الإطلاقية المعتمدة في تجنيد الأتباع مع حقيقة الممارسة السياسية بما لا يستثني حقيقة الشيوخ والزعماء المتلاعبين بالعقول «المغفلة».[39]

ولكن، وتوسيعاً لمشمولية استنتاجاتنا، يمكن أن نعدّ أن رفع الارتباطات الجماعاتية-الحزبية، سواء أكانت دينية، أم غير دينية، إلى مستوى الموجه للسياسي في المجتمع، مع ما يقتضيه من حيلولة دون انتقال سلس إلى العوالم الرحبة للحس المدني، يعدّ خير مثال على النزوع المرضي الذي يتربص بالاجتماع السياسي من زاوية المشاعر الغريزية.

36 Elahmadi M., *Le Mouvement Yasiniste,* Casablanca, Moultaka, 2006, p.230

37 Ruth Stein, « Le mal comme amour et libération: l'état d'esprit d'un terroriste religieux kamikaze », *Revue française de psychanalyse* 2002/3 (Vol. 66), p. 897-921. DOI 10.3917/rfp.663.0897

38 **AGHBAL** A. , Hlaoua A. « Un **COMITÉ** islamiste de **LUTTE CONTRE LA DÉBAUCHE** à Aïn Leuh: radioscopie du règlement d'un conflit ordinaire», In: *le Maroc au présent d'une époque à l'autre, une société en mutation*

Baudouin Dupret**,** Zakaria Rhani**,** Assia Boutaleb **et** Jean-Noël Ferrié (dir.), Casablanca, Centre Jaques Berques, 2015, p. 893-903

39 Cherkaoui, M., «*Le fondamentalisme islamique: Esquisse d'une interprétation »,* in Commentaire, N. 114, Paris, été 2006, p. 274

المراجع:

- حوكا (بن أحمد)، الزياني (عثمان)، «أخلاق العائلية ومستقبل الديمقراطية في العالم العربي»، دراسة قيد النشر.

- غولد، دور، **مملكة الكراهية: كيف دعمت العربية السعودية الإرهاب العالمي الجديد**، ترجمة محمد جليد، منشورات الجمل، بيروت، الطبعة الأولى، 2014، 446 صفحة.

Adorno, T., et Al, *The authoritarian Personality*. New York, Harper, 1950, p. 990

AGHBAL A., Hlaoua A. « Un COMITÉ islamiste de LUTTE CONTRE LA DÉBAUCHE à Aïn Leuh. Radioscopie du règlement d'un conflit ordinaire», In, *Le Maroc au présent d'une époque à l'autre, une société en mutation*

Altemeyer, B., *Right-wing authoritarianism*. Winnipeg, Canada: University of Manitoba Press, 1981, p. 352

Arkoun, M., *Humanisme et islam. Combats et propositions*, Paris, Vrin, 2005, p. 315

Batson, C. D., & Ventis, W. L, *The religious experience. A social-psychological perspective*. Oxford University Press, 1982, p. 368

Capranzano, V., *The Hamadsha. A Study in Moroccan* ETHNOPSYCHIATRY, Berkeley, Los Angeles, University of California Press, 1973, p. 283

Cherkaoui, M., «Le fondamentalisme islamique: Esquisse d'une interprétation », in *Commentaire*, N. 114, Paris, été 2006, p. 274

Christie, R., Geis, F., *Studies in Machiavellianism*. New York, Academic Press, 1979, p. 430

Dialmy, A., *La* FABRIQUE DE L'ISLAMISME MAROCAIN. Prèmiere édition, Casablanca, Les Éditions Toubkal, 2016, 259 pages.

Said, Edward, *Humanism and Democratic Criticism*, New York, Columbia University Press, 2004, p.154

El Maslouhi ,Abderrahim, « La gauche marocaine, défenseure du trône. Sur les métamorphoses d'une opposition institutionnelle », L'ANNÉE DU MAGHREB [En ligne], V | 2009, mis en ligne le 01 novembre 2012, consulté le 01 octobre 2017. URL: http://anneemaghreb.revues.org/485 ; DOI: 10.4000/anneemaghreb.485

El Ahmadi M., *Le Mouvement Yasiniste,* Casablanca, Moultaka, 2006, p. 230

Gaskin, J. & Lim, J. (2016), «Model Fit Measures», AMOS Plugin.

Geertz, C., Geertz, C., *Islam Observed. Religious Development in Morocco and Indonesia*, The University of Chicago Press, Chicago & London, 1971, p.144

Gibson James L, « Alternative Measures of Political Tolerance. Must TOLERANCE be "LEAST-LIKED"?», *American Journal of Political Science*, Vol. 36, No. 2 (May, 1992), pp. 560-577

Hayes, A. F., *Introduction to Mediation, Moderation and Conditional Process Analysis. A regression-based approach*, New York, The Guilforg Press, 2013, p. 507

Hougua, B. A., « Autoritarisme de droite et action collective dans le contexte culturel Marocain. Données empiriques et leçons sur le '' le printemps arabe" », in: Bennis, S &Tarik, H (éds), *Trajectoires de la vie et de la science: sur la fondation et l'engagement, les sciences sociales et la réflexion sur la politique, l'Etat et les politiques*, Hommage au Professeur Abdellah Saaf, Publication de la Revue Marocaine des politiques publiques, Tome II, 2016, pp. 29-50

John L. Sullivan, George E. Marcus, Stanley Feldman, James E. Piereson, « THE SOURCES OF POLITICAL TOLERANCE. A MULTIVARIATE ANALYSIS », *The American Political Science Review*, Vol. 75, No. 1. (Mar., 1981), pp. 92-106

JOHN RAWLS , LIBÉRALISME POLITIQUE, Paris, éd.2, PUF, 1995, p. 450

Lasswell, H., « Democratic character », In, *The Political Writings of H. Lasswell*. The Free Press, 1951, p. 465-525

McClosky H, Zaller J., *The American Ethos*. Cambridge, MA: Harvard Univ. Press., 1984, p.342

Rachik, H., *Le proche et le lointain. Un siècle d'anthropologie au Maroc*, Paris, Editions parenthèses, 2012, p. 288

Rawls, J., *The Law of The Peoples With The Idea Of Public Reason Revisited*, Cambridge, MA, Harvard UP, 2003, pp. 151-152

Rokeach, M., *The Nature of Human Values*, New York, Free Press, 1973, p. 438

Rokeach, Milton. *The Open and Closed Mind*. Basic Books, Inc.: New York, 1960, xv p. 447

Stein Ruth » ,Le mal comme amour et libération :l'état d'esprit d'un terroriste religieux kamikaze ,«*Revue française de psychanalyse* 2002/3 (Vol. 66), p. 897-921. DOI 10.3917/rfp.663.0897

Steven J. Musser, Eric A. Orke, « Ethical Value Systems. A Typology », *The Journal of Applied Behavioral Science*, Vol 28, Issue 3, 1992, pp. 348-362

Stone, W. F., & Smith, L. D. «Authoritarianism left and right». In W. F. Stone, G. Lederer, & R. Christie (Eds.), *Strengths and Weaknesses. The Authoritarian Personality Today*, New York: Springer-Verlag, 1993, p. 277

SULLIVAN J. L. , & TRANSUE, J. E., "The PSYCHOLOGICAL UNDERPINNINGS of DEMOCRACY. A SELECTIVE REVIEW *of* RESEARCH *on* POLITICAL TOLERANCE, INTERPERSONAL TRUST, and social capital", In, *Annual Review of Psychology*, Vol. 50, 1999, 625 pages.

Sullivan JL, Walsh P, Shamir M, Barnum DG, Gibson JL. « Why politicians are more tolerant? Selective recruitment and socialization among political elites in Britain, Israel, New Zealand, and the United States », *British Journal of Political Science,* Vol 23, Issue 1, Jan 1993, pp. 51-76

Sullivan, John L.; Pierson, James E.; and Marcus, George E. « AN ALTERNATIVE CONCEPTUALIZATION OF POLITICAL TOLERANCE: ILLUSORY INCREASES 1950S–1970S », *The American Political Science Review*, Volume 73, Issue 3, (Sep 1979), pp. 781- 794.

Tessler, M., « Islam and Democracy in the Middle East: The Impact of Religious Orientations on Attitudes towards Democracy in Four Arab Countries », *Comparative Politics*, Vol. 34, N. 3, 2002, pp.337Ŕ354

Torney-Purta, J., Lehmann, R., Oswald, H., and Schulz, W., « Citizenship and Education in Twenty-eight Countries: Civic Knowledge and Engagement at Age Fourteen », *The International Association for the Evaluation of Educational* (Competences civiques), 2001

Welzel, C., *Freedom Rising: Human Empowerment and the Quest for Emancipation*, Cambridge, Cambridge University Press, 2013, p. 480

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2020

جميع الحقوق محفوظة © 2020